الدعوة الإسلامية

عدد
الهجرة
الممتاز

إسلامية ثقافية شهرية

العدد الثالث عشر ـ السنة الثانية ـ محرم ١٣٨٦ هـ ـ ٢١ ابريل ١٩٦٦م

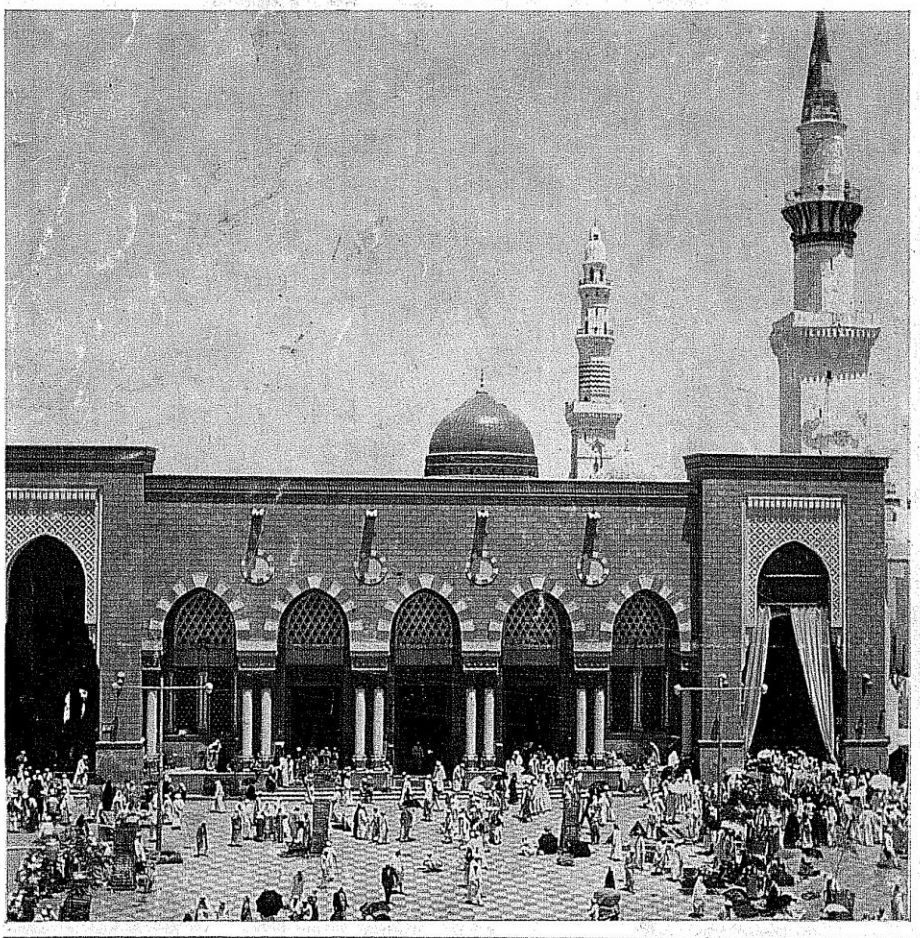

للاستاذ احمد محمد جمال
عضو مجلس الشورى / بمكة المكرمة

من حق المسلمين المؤمنين كلما زلزلوا زلزالا شديدا وزاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر ، واحاط بهم الاعداء من كل جانب كيدا للاسلام ومكرا بدعاته وحماته وحملة رسالته ، من حق هؤلاء المؤمنين ان يتساءلوا متى نصر الله ؟ كما تساءل آباؤهم وأجدادهم من قبل فأجابهم الله تبارك وتعالى ((ألا ان نصر الله قريب)) .

ولكى يطمئن المسلمون المؤمنون الى نصر الله لهم وحفظه لدينه ـ يجب عليهم ان يعيشوا ابدا على ذكرى من تاريخ الدعوة الاسلامية ، منذ ابتدائها حتى اليوم ، وهو تاريخ جميع الدعوات الدينية كلها .. من دعوة ابراهيم الى دعوة محمد صلوات الله وسلامه عليهما وعلى جميع انبيائه ورسله الكرام .

أجل ... انه تاريخ كل دعوة دينية وكل رسالة سماوية ، حيث تقابل بادىء الرأى بالتكذيب والاعراض ، وباضطهاد حملتها ودعاتها وحصارهم دون العمل على نشرها واذاعتها لهداية الناس الى الطريق القويم .

ثم يأتي نصر الله وتأييده لكل نبي وكل رسول وكل داعية مصلح فتشرحه أنوار الحق وتمتد ظلال الخير ، ويتعاون

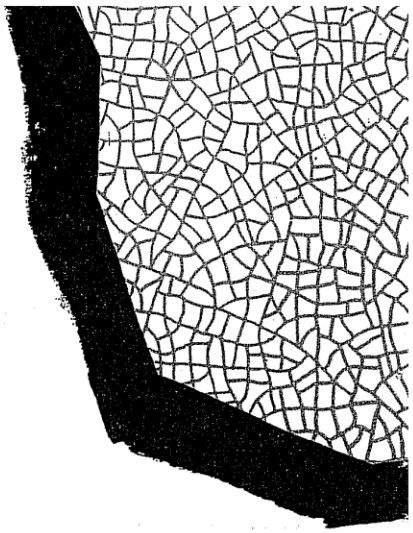

الناس على البر والتقوى ويأمن بعضهم بعضا على الاعراض والاموال والحرمات .

ولكن رؤوس الفتنة ترتفع مرة اخرى بل مرات عديدة ، ويعود شياطين الانس الى حصار دعوة الحق والخير والكيد لاصحابها والمكر بهم ، وتجدد المعركة ويتكرر الاصطدام بين الحق والباطل ، وبين الشر والخير ، وبين الهدى والضلال ، وتتعدد الضحايا ، ويتكاثر الشهداء ، وتسيل الدماء لتنبت غروسا جديدة وتنمو وتكبر وتستوى على سوقها استعدادا لجهاد جديد مع أئمة الكفر وقادة الضلال .

ان تاريخ الاسلام هو هذا التاريخ .. جهاد وثبات وتضحية تجاه حصار واضهاد ومكر .

والحديث عن هذا التاريخ وعن حلقاته ومراحله بين الكر والفر وبين النصر والهزيمة وبين هوان المسلمين تارة واستعلائهم تارة اخرى ـ الحديث عن ذلك يعرض ويطول ويحتاج الى اسفار كثيرة ، بل هو مرصود فى هذه الاسفار الكبار فليرجع اليه المسلمون المؤمنون الواثقون بانهم (الاعلون) وبأن نصر الله قريب .

وانما حسبي هنا فى هذا الحديث أن اتصدى لتذكير المسلمين المؤمنين بالحصار الاول لدعوة الاسلام وتنشيطهم لمقاومة الحصار الاخير .

لقد لقى نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم منذ بعثته فى مكة المكرمة من انكار قومه واذاهم وهجر قولهم وفحشه ، وتعذيب اصحابه الذين سارعوا الى الايمان بالله ورسوله ـ الوانا وصورا تدمي القلوب وتروع المسامع ، وتسوء الابصار .

والحصار الاجتماعي الذى فرضته قريش على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اهله وعشيرته والمؤمنين بدعوته ـ صورة واحدة ولون واحد من تلك الالوان والصور الاضطهادية التى ووجهت بها دعوة الاسلام .

فى السنة السابعة من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم نفذت قريش هذا الحصار الاجتماعى للرسول وصحبه واهله ، مدفوعة اليه بتعصبها لتقاليدها

الوثنية الموروثة وحرصها على أرزاقها وتجارتها وحظوظها من السلطان والسيادة والحرية والاباحية الخلقية .

ومهدت لهذا التنفيذ بمفاوضة عجيبة مع عم الرسول ابى طالب فجاءه وفد من كبارها يقولون له ان ابن اخيك افسد نساءنا وأبناءنا ونحن مجمعون على قتله .. فهل لك فى دية مضاعفة على ان يقتله رجل من غير قريش ؟ .

فأبى بنو هاشم هذا العرض اللئيم وظاهرهم عليه بنو المطلب . وعزموا — مؤمنهم وكافرهم — على حماية الرسول صلى الله عليه وسلم ، مهما كلفهم ذلك من عناء وعذاب وتضحية .

وهنا نفذت قريش خطتها فى حصار الرسول وبنى هاشم وبنى المطلب فى الشعب ، وكتبوا صحيفة تتضمن هذه القطيعة الاجتماعية ، وعلقوها بالكعبة لتكون اكثر قيمة واكبر اعتبارا ، واضمن انتشارا بين العرب الوافدين الى البيت الحرام فى مواسم الحج .

وكان معنى هذا الحصار الاجتماعي الذى أحيط به الرسول وأهله وعشيرته وصحابته — ان تمتنع بطون قريش عن معاملة هؤلاء المحاصرين بالبيع والشراء والزواج والاختلاط بهم ، وامدادهم بما يحتاجون اليه من طعام وشراب وكساء .

وظلت هذه القطيعة الاجتماعية الشنيعة سنوات ثلاثا متتابعة ابتداء من المحرم من السنة السابعة لبعثة الرسول الى السنة العاشرة .

ولقد حرصت قريش كل الحرص ، على تنفيذ هذا الحصار اللئيم ، فكانت اذا قدم بعض التجار الى مكة تحمل عيرهم سلعا وارزاقا قام قائمها — ابو لهب وامثاله — يدعو الناس الى المغالاة فى أثمانها ، على اصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئا منها ، ويلبى الكفرة الفجرة هذه الدعوة الشريرة ، فيزيدون فى اسعار السلع اضعافا مضاعفة حتى يعود أصحاب الرسول الى أهليهم وأولادهم فى الشعب وليس معهم ما يطعمونهم به .

وحدث مرة ان لقي حكيم بن حزام ، ومعه غلام يحمل قمحا الى عمته خديجة زوجة الرسول ، وهي معه فى الشعب — لقي أبا جهل فمنعه هذا وقال له : اتذهب بالطعام الى بنى هاشم ؟ وحضر المجاورة ابو البخترى ، فزجر ابا جهل قائلا : « اتمنعه ان يأتي عمته بطعام . خل عنه » فابى ابو جهل واشتد بينهما الخصام حتى أخذ ابو البخترى لحى بعير فضرب به ابا جهل فشجه ووطئه وطأ شديدا .

وكان ابو طالب عم الرسول شديد الخوف على ابن أخيه .. فكان يأمر الرسول ان يأتي كل ليلة فراشه المعتاد حتى يراه من يريده بشر ، فاذا نام الناس امر ابو طالب أحد بنيه او اخوته او بنى عمه أن يضطجع على فراش الرسول وأمر الرسول ان يأتي بعض فرشهم لينام عليها . وكان ابو طالب يقول دائما لقريش أثناء الحصار لا والله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا .

لقد ظلت وثيقة الحصار كما أسلفنا ثلاثة أعوام تباعا نافذة المفعول ، وظلت قريش قاسية فى مراقبة تنفيذها خلال هذه السنوات العجاف التي عانى الرسول صلى الله عليه وسلم فيها هو وأهله وعشيرته وصحابته حرمانا شديدا من الاختلاط بالناس ومن الابتياع منهم ، والبيع عليهم ، ولم يشفع عند قريش ان هؤلاء الذين حاصروهم ومنعوهم الطعام والشراب والاتصال بالناس ، انما هم أخوانهم وأصهارهم وأبناء عمومتهم .

وكان هناك خمسة نفر ضاقت صدورهم بهذه القطيعة الباهظة الفادحة التي نزلت ببنى هاشم وبنى المطلب وعلى رأسهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقام أحدهم — وهو هشام بن عمرو

العامرى ـ وحدث زهير بن ابي امية فى ذلك مستثيرا عطفه وحميته ومروءته «أقد رضيت ان تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث علمت لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح اليهم ؟؟ » ثم تعاهدا على تمزيق وثيقة الحصار ، وانضم اليهما المطعم ابن عدى وزمعة بن الاسود بن المطلب ، وابو البخترى العاصى بن هشام .

وذهب زهير بن ابى امية الى البيت الحرام ليطوف بالكعبة . فطاف بها سبعا ونادى فى قريش : « يا أهل مكة انأكل الطعام ونلبس الثياب ... وبنو هاشم هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ؟ والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة » .

وقام ابو جهل ـ كدأبه الماكر العنيد ـ ينكر على زهير ما قال فسارع اليه هشام بن عمرو يؤيد زهيرا ، كما نهض المطعم بن عدى ليشق الصحيفة القاطعة الظالمة فوجد (الارضة) قد أكلتها الا فاتحتها « باسمك اللهم » .

وبذلك اتيح للنبي صلى الله عليه وسلم ورفاقه فى الحصار ان يغادروا الشعب (١) وان يعودوا للحياة العادية ، فيختلطوا بالناس بائعين ومبتاعين ، وان كان الخصام بينهم وبين قريش لم يزل على حاله تتربص بهم شرا ، وتتمنى عليهم نصرا ... حتى اذن للرسول صلى الله عليه وسلم فى الهجرة الى المدينة المنورة، وكانت له بداية النصر والانتصار ، حيث لقى فيها الحماة والانصار ، ثم كانت العودة الى مكة فتحا مبينا تبعته فتوح وفتوح .

هذه خلاصة قصة الحصار الاجتماعى الذى ضربته قريش على الدعوة الاسلامية فى بداية عهدها . وقد تلته حصارات سياسية أخرى خلال مراحل التاريخ الاسلامي كما أسلفنا الاشارة الى ذلك فى صدر هذا الحديث .

.. نكتبها لمناسبة صدور هذا العدد الممتاز من مجلة (الوعى الاسلامى) فى المحرم ١٣٨٦هـ ـ وذكرى لحادث القطيعة التى وقعت للمسلمين الاول فى المحرم ـ ايضا ـ من السنة السابعة لبعثة الرسول عليه الصلاة والسلام .

وعودا على بدء، وانتفاعا من هذه الذكرى ـ نقول: ان الاسلام اليوم يعانى اكثر من حصار واحد .. انه يقاسى حصارا اجتماعيا ، وحصار اقتصاديا ، وحصارا سياسيا ، وحصارا ثقافيا ، وحصارا اخلاقيا . وقد تآمرت على هذا الحصار العام الشامل تجاه الاسلام والمسلمين جميع قوى الصليبية والصهيونية المتعاونة المتضامنة على تهديم الكيان الاسلامى وتخريب ذمم المسلمين وضمائرهم وقيمهم الاخلاقية .

وان من المؤسف المؤلم لكل قلب مؤمن وكل نفس مخلصة ان يستعين الثنائي الفاجر الماكر (الصليبية والصهيونية) ببعض السادة والكبراء من المسلمين ليكونوا عملاء ووسطاء فى التخريب المقصود والتهديم المراد .... لكيان الاسلام وتراث المسلمين .

فالمذاهب الاقتصادية والاخلاقية والثقافية ووسائل الاعلام من كتب وصحف واذاعة وتلفزيون ، والجمعيات النسائية والرياضية ـ ومناهج التربية والتعليم كلها فى البلاد الاسلامية متأثرة متتبعة لتوجيهات ومخططات ذلك الثنائي اللئيم .

فهل لنا من ذكرى وهل لنا من يقظة وهل لنا من اعتبار .

---

(١) هو المكان المعروف الآن بشعب على، ويذكر فى كتب التاريخ باسم (شعب بنى هاشم ـ أو شعب ابى طالب) وهو جزء من حى معروف باسم (سوق الليل) ويقع فى الجنوب الشرقى من مكة المكرمة . وفى هذا الشعب مولد الرسول ومولد على .